



أعلام السلفية (١٢)

ترجمة الشيخ
فرحات ابن الدرّاجي مفخرة الزّاب

إعداد هيئة التحرير
بمركز سلف للبحوث والدراسات

فرحات ابن الدراجي^(١)

اسمه ونسبه ونسبته:

الشيخ فرحات ابن الدراجي أبو حامد الليشاني البسكري الجزائري.

مولده:

ولد في بلدة ليشانة بولاية بسكرة^(٢) بالجزائر في عام ١٩٠٩م.

تكوينه العلمي:

حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة والدين على خوف من حثالة الفرنسيين، الذين كانوا يحكمون منطقة الجنوب الجزائري حكما عسكريا، وإن لم يكن هناك فرق بين الجزائريين الخاضعين للحكم العسكري الفرنسي في الجنوب والخاضعين للحكم المدني في الشمال.

كانت منطقة بسكرة في بداية العشرينيات من القرن الماضي تعرف نشاطا أدبيا ودينيا، وكان يتولاه الشيخ الطيب العقبي الذي رجع من الحجاز، والتف حوله الشباب الناهض ومنهم الشاب فرحات، فتطلعت نفسه إلى أن يرتقي إلى مراتب هؤلاء العلماء والأدباء، وكان عليه أن يعد لذلك، فالتحق في سنة ١٩٢٤م بمدينة تونس، وانخرط في حلقات جامعها المعمور.

وتخرج الشاب فرحات في جامع الزيتونة في عام ١٩٣١م بشهادة التطويع، وفي هذا العام كتب الله عز وجل أن تؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكانت القلعة التي أوى إليها الشاب فرحات مع غيره من الشبان؛ ليجاهدوا بالقرآن واللسان، إعدادا للجهاد باللسان.

وكان -رحمه الله- شغوفا بكتب العلم؛ فلقد أجمع أصدقائه وعارفوه على أنه كان كثير القراءة، وكان شرها في اقتناء الكتب ولو على حساب معيشة أهله، ولم يتخل عن هذه القراءة وامتلاك الكتب حتى في أخريات أيامه، فقد ذكر الشيخ حمزة بوكوشة أنه زاره في مرضه، فقال له: "لقد علمت أن كمية من الكتب قد وصلت وفيها الطبعة الجديدة من كتاب الحيوان، وأخشى أن أموت ولم أطلعها، فتبقى حرقا في قلبي، فاذهب وأتني بالكتاب"، والمفاجأة أن الشيخ حمزة لما جاءه بالكتاب وجد نسخة أخرى من الكتاب عنده. وكان مما قاله لصديقه عباس التركي وهو يزوره: "إن أردتني أن أرزق السلامة يا عباس ابحت لي عن كتاب المعيار؛ فإن فيه شفائي".

ثناء العلماء عليه:

(١) هذه الترجمة مختصرة من مقال للشيخ الأستاذ محمد هادي الحسني بعنوان: "مفخرة الزاب"، نشر بموقع: بوابة الشروق، في ٢١/٠٦/٢٠١٨م، وأضفنا عليها بعض الإضافات. ينظر: رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي: الشيخ أحمد سحنون نموذجا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إعداد: زينب لمونس، إشراف: الأستاذة شهرزاد شلبي.

(٢) تقع بسكرة جنوب الجزائر العاصمة، إلى الشرق قليلا، وتبعد عنها بحوالي ٤٠٠ كلم.

الشيخ فرحات الدراجي أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بل هو من قادتها وأهل الرأي فيها، وقد أتى عليه بعض رجالات جمعية العلماء.

فقال الشيخ مبارك الميلي: "الشيخ فرحات بن الدراجي مفخرة من مفاخر الزاب"^(٣)، وشخصية بارزة بين شبابنا المثقف الناهض، دؤوب على المطالعة والتحصيل، صبور على البحث والتحليل، وهو من أضوأ مصابيح المستقبل، لو كثر أمثاله لم يبق مستقبل نهضتنا مجهولا"^(٤).

وقال الشيخ حمزة بوكوشة: "كان مثال الحرص والاجتهاد والمواظبة على الدروس، ومثلا شرودا بين التلامذة في حفظ المتون واستظهارها"^(٥).

وقال الشيخ أحمد سحنون متحدثا عن المميزات التي امتاز بها صديقه وزميله الشيخ فرحات الدراجي: "اطلاعه الواسع، وإحساسه المرهف، ولهجته القوية في النقد، وجرأته الشديدة في إبداء الرأي، وبديهته الحاضرة في الارتجال"^(٦).

نشاطه وجهاده:

كان الشيخ فرحات الدراجي -مثله مثل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- كالمجاهد أينما توجهه القيادة البصيرة بالرجال والأحوال يكن مستعدا، مستغلا ما وهبه له الله عز وجل في تحقيق هدف الجمعية الأكبر، وهو: تحرير الأذهان كمقدمة لتحرير الأبدان، فعين معلما في مدرسة مدينة سيق خلفا للشيخ العربي التبسي، فواصل الدعوة هناك، ثم انتقل إلى العاصمة، فعمل في مدرسة الشيبية في مدينة الجزائر تحت إدارة محمد العيد آل خليفة وبصحبة المشايخ باعزيز بن عمر وجلول البدوي وعبد الرحمن الجيلالي.

ولم تقتصر جمعية العلماء في مشروعها الإصلاحية على الجزائر فقط، بل اهتمت بالجالية الجزائرية المقيمة في فرنسا نظرا لتزايد عدد المهاجرين وقلة أماكن التوجيه والتعليم في ديار الغربية، ففي يناير ١٩٣٨م قام الشيخ الفضيل الورتلاني بجولة عبر الجزائر، التقى المشرفين على جمعية العلماء وشرح لهم مدى حاجة النوادي إلى المدرسين خاصة بعد امتداد نشاطها إلى المدن الفرنسية الكبرى، فوافقت الجمعية على إرسال محمد صالح بن عتيق ومحمد الزاهي وسعيد البيباني والهادي السنوسي إلى باريس، وإرسال حمزة بوكوشة إلى ليون، وإرسال فرحات الدراجي إلى مرسيليا، ومحمد وعلي إلى سان تتيان. وقد تم اختيار الشيخ فرحات لهذه المهمة

(٣) الزاب كان يطلق قديما على منطقة واسعة من شرق الجزائر، ولكنه يطلق الآن على منطقة أصغر مساحة مما كانت عليه في سالف الأيام وغابر الأعوام، ويقع في سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، وقصبة الزاب الإدارية والتجارية في يومنا هذا هي مدينة بسكرة.

(٤) ينظر: جريدة البصائر، العدد: ١٦٢، سلسلة ٢، في ٢ جويلية ١٩٥١م، (ص: ٣).

(٥) ينظر: البصائر، العدد: ١٥٨، في ٤ / ٦ / ١٩٥١م، (ص: ٣).

(٦) ينظر: البصائر، العدد: ١٥٦، في ٢١ / ٥ / ١٩٥١م، (ص: ٣).

العظيمة لما عرف عنه من سعة الاطلاع، وقدرته في مجال الدعوة والوعظ والإرشاد، بالإضافة إلى إجادته للغة الفرنسية، كل ذلك أهله لإلقاء المحاضرات والدروس في نادي التهذيب بمرسيليا.

انتخب الشيخ فرحات الدراجي في سنة ١٩٣٧م نائبا للكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وظل عضوا فاعلا في مجلسها الإداري إلى أن أوقف نشاط الجمعية في صانفة سنة ١٩٣٩م بسبب قيام الحرب العالمية الثانية. ثم تعرض للسجن بتهمة المساس بأمن الدولة الفرنسية، وبعد أشهر أطلق سراحه مع نفيه من مدينة الجزائر إلى دائرة بسكرة للإقامة الجبرية. وعندما أطلق سراحه في مطلع سنة ١٩٤٣م عاد إلى مدينة الجزائر حيث كلف بصفة مؤقتة بمنصب الكاتب العام. وبعد استئناف صدور جريدة البصائر سنة ١٩٤٧م عين عضوا في هيئة التحرير. كما أنه عين عضوا في لجنة تنظيم التعليم التي يترأسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكاتبا عاما للجنة الأدب.

وكان الشيخ من الذين اصطفاهم الشيخ البشير الإبراهيمي للإشراف على جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، حيث كان يحرق "بريد البصائر"، إلى أن انتقل إلى البليدة سنة ١٩٤٨م بسبب المرض الذي أثقله ثلاث سنوات. ولعل تكليف الشيخ الإبراهيمي لفرحات بهذا الباب لما عرف عنه من عمق التفكير والتنظيم في العمل، والولوع بالأدبين الأندلسي والعباسي أيام نضجهما كما قال الشيخ عمر العرباوي^(٧).

وقد أصاب الشيخ فرحات الدراجي ما أصاب إخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سجن وتغريم ونفي، فما وهن لما أصابه في سبيل الله من الأعداء الفرنسيين ومن عملائهم، حتى ممن يسمون رجال الدين، فكانت "له مواقف مشهودة مشكورة" كما يقول الشيخ حمزة بوكوشة، وكان "مثال الرجولة الكاملة" كما شهد الشيخ عمر العرباوي، رغم ما ابتلي به من أمراض قضت عليه وهو في أوج الرجولة.

تراثه العلمي:

ترك الشيخ فرحات الدراجي العديد من المقالات في عدد من الجرائد والمجلات والمنابر الإعلامية الإصلاحية في ذلك الوقت: (السنة، الشريعة، الصراط، الشهاب، البصائر، لسان الشعب، الأمة).

وذكر الشيخ أحمد ابن ذياب في مقال له عن الشيخ فرحات نشره في العدد ٣٥ من مجلة الثقافة أن له شرحا على "مفتاح الوصول لبناء الفروع على الأصول" للشيخ التلمساني، وله عمل على "تهذيب المدونة" لأبي سعيد البراذعي القيرواني^(٨).

وفاته:

(٧) ينظر: البصائر، العدد: ٢٣٣، في ١٢ جوان ١٩٥٣م، (ص: ٨).
(٨) ينظر: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، لخير الدين شترة (ص: ٣٢٣)، دار البصائر.

توفي الشيخ فرحات بالبليدة في ١٣ مايو من سنة ١٩٥١م إثر مرض عضال.
وقد أحس أنصار الحركة الإصلاحية بحجم الفراغ الذي تركته وفاة زميلهم الشيخ فرحات
الدراجي، فقالوا على لسان الشيخ أحمد سحنون:

فرحات، أي فراغ قد تركت لنا؟!
وأي سهم من الأقدار أصماكا؟!^(٩)
وأبنة كثير من أصدقائه نثرا وشعرا، وحنونا عليه حزنا شديدا؛ لأنه كان كما قال الشاعر
عبد الكريم العقون:

تولى الذي كان رمز بشاشة إذا ما نبا دهر به يبتسم
ومجمع أبحاث وكنز بداهة وجودة تحصيل به يتكرم
خطيبا له في كل حفل روائع ونثر نفيس كالجمان منظم
لقد كنت سباقا إلى كل غاية لتدرك مجدا أنت بالمجد مغرم
فيا راحلا عنا ألم تك بيننا رفقا عزيزا أنت فينا المقدم؟!
من كلماته الإصلاحية:

قال الشيخ فرحات الدراجي: "إن غايتنا التي نسعى في الوصول إليها، وهدفنا الذي نرمي
إليه أن نهض بالإسلام ونعمل على تنقيته مما ألصق به، ولكن لا يكون ذلك إلا بالرجوع لأصوله
الأولى ومصادره الصحيحة حتى يرجع إليه جماله وجلاله، وأن نعمل على إحياء لغة القرآن
حتى يرجع إليها سالف مجدها وغاير عزها، وحتى تصبح منتشرة في المدن والقرى، وبين
الأفراد والجماعات، هذه هي الغاية التي لها نعمل ما دام فينا عرق ينبض، ولن يصدنا عنها
تهديد ولا وعيد؛ لنبرهن بأقوالنا وأعمالنا للذين يحاولون أو يعملون بالفعل على قطع كل صلة
تربطنا بالإسلام الصحيح والعربية الفصيحة، لنبرهن لهؤلاء أن الإسلام روح المسلم، والعربية
لسانه، وليس في الإمكان أن يعيش إنسان بلا روح ومن غير لسان"^(١٠).

وقال: "استطاعت دعوة جمعية العلماء المسلمين أن تتخطى البحار، وتجوب الفقار، وتنفذ
إلى الديار الفرنسية، وتتغلغل في الأحياء الباريسية؛ لأن دعوة جمعية العلماء دعوة إلى الحق،
والحق لا يحجبه أي حاجب مهما كان صفيقا"^(١١).

(٩) ينظر: البصائر، العدد: ١٥٦.

(١٠) ينظر: سجل الجمعية (ص: ٢٠٤)، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي (ص: ٤٣).

(١١) ينظر: رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي (ص: ٤٣).

وقال: "ولعت من عهد الصغر بكتب السلف وآثار القدماء؛ لعلمي أنها أكبر عون على تحصيل العلم، وأقرب موصل إلى تفهم الدين؛ لأنها ألقت في عصور ازدهار الإسلام، ولأن السلف رضي الله عنهم كانوا أقدر تصرفا في علومهم، وأفصح تعبيراً عن مقاصدهم من الخلف"^(١٢).

وقال: "إن في نشر كتاب تهذيب المدونة للبراذعي وغيره من كتب السلف القيمة -ككتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب، وشرحه للإمام المازري، والبيان والتحصيل لابن رشد، والكافي لابن عبد البر- لتوفيرا لوقت الطالب، ورفقا بفكره، وتمكينا له من التفقه في الدين. أما طالب الفقه من مختصر ابن الحاجب ومختصر خليل ومجموع الأمير فهو مضيعة للوقت، وإجهاد للفكر في غير جدوى ولا طائل؛ فإن الناظر في هذه المختصرات بدل أن يشتغل بتحصيل المسألة والتفقه فيها من جهة النظر والاستدلال عليها من الكتاب والسنة، تراه يعصر فكره ويجهد قريحته في حل رموز هذه المختصرات، وكشف ما فيها من تعقيد وتعمية، ثم يخرج بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها. إن هذه الكتب التي بالغ أصحابها في اختصارها حتى كادت تكون ألغازا -علاوة عن كونها وقفت سدا منيعا بيننا وبين كتب السلف التي تمثل يسر الإسلام وسماحته- أجهزت على كتب الفقه، وكانت سببا مباشرا في الصد عن تفهم روح التشريع الإسلامي، كما كانت سببا في قتل الأفكار وشلها عن التفكير الصحيح. وحسب القارئ معرفة بهذه المختصرات وتقديرا لقيمتها أن بعضها ألف في عصر الوقوف، وأعني به وقوف المسلمين عن التقدم في الفتوحات، وأن بعضها الآخر ألف في عصر التدهور والانحطاط، وهو العصر الذي استولت فيه الدول الغربية على معظم الممالك الإسلامية"^(١٣).

وقال: "إننا نعتقد اعتقادا جازما أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة إلا برجعهم إلى الإسلام الصحيح الخالص من كل ما ألصق به عمدا أو جهلا؛ من خرافات شوهدت جماله، وكاد يطمس معالمه، وأن الفقه الإسلامي لا يمكن فهمه فهما يتمثل فيه يسر الإسلام وسماحته إلا بالرجوع إلى كتب السلف بعد عرضها عرضا يغري بمطالعتها، وطبعها طبعا يمثل روح العصر. نقول هذا ما دامت كتب الفقه هي مختصر الشيخ خليل ومجموع الأمير وشروح ابن عاصم. وما دامت الحكومات الإسلامية لم تفكر تفكيرا جديا في وضع كتاب عام في الفقه الإسلامي بحيث يكون جامعا مانعا غير مقيد بمذهب ولا متحيز لطائفة، فيكون رائده الدليل الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله، أينما وجد هذا الدليل ومع أي طائفة كان. أما إذا قامت حكومة أو حكومات إسلامية بهذه المهمة، فإن أكبر ما تطمح إليه نفوسنا من هذه الناحية، وبهذا يمكن توحيد كلمة المسلمين، وإزالة أو تقليل ما بينهم من خلاف"^(١٤).

(١٢) ينظر: مجلة الشهاب الجزء ٦ مجلد ١٥، جمادى الثانية سنة ١٣٥٨هـ /جوليت ١٩٣٩م.

(١٣) ينظر: المرجع نفسه.

(١٤) ينظر: المرجع نفسه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه
أجمعين